

المحاضرة الختامية: حول قضايا تجديد الخطاب الديني(*)

دكتور محمد عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلاة وسلاماً على سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- و
على آله وصحابه أجمعين.

فى البداية: أنا أعبّر عن سعادتى بوجودى معكم ، وأقول لكم إن عهدى بالخطاب الدينى
والخطابة الدينية والكتابة هو عهد قديم ، فقد بدأت أخطب سنة ١٩٤٧م؛ لكن أول مرة أجد
نفسى فى حرج وأنا معكم الآن؛ فأنا خطبت كثيراً وحاضرت كثيراً، وكتبت كثيراً، غير أن
حالى الصحية اليوم متدنية ويبدو إنها تشبه الخطاب الدينى فى هذا التدنى، يضاف إليها
حالة الإرهاق التى أنتم فيها، وبالتالى فالتطلع إلى محاضرة هو أمر صعب، إنما أنا حقيقة
تعلمت كثيراً من هذه الجلسات التى شرفت بالاستماع فيها، وأنا أريد فى نقاط سريعة أن
أقول بعض الأفكار.

إن أى خطاب -سواء دينى أو غير دينى- ينبع من نظرية معرفة، فالماركسى خطابه ينبع
من نظرية معرفة تركز على العوامل الاقتصادية والعوامل الاجتماعية والبناء التحتى الذى
ينتج البناء الفوقى ، والصوفى خطابه يركز على القلوب وعلى علم القلوب، وحتى الإنسان
الوضعى العلمانى مادى؛ فهو يعزل السماء عن الأرض، وبالتالى الواقع هو مصدر المعرفة،
والعقل والتجربة هى سبل المعرفة، وبالتالى عندما نتكلم عن الخطاب الدينى الإسلامى: لابد
أن ينبع خطابنا وتنظيرنا لهذا الخطاب من نظرية معرفة إسلامية: وكلكم تعلمون إننا نعتبر
فى نظرية المعرفة الإسلامية أن مصادر المعرفة هى الكون والغيب - أى كتاب الله المنظور
وكتاب الله المسطور - ودائماً ما أشير إلى ما قاله الإمام محمد عبده، وهو يفسر قول الله
سبحانه وتعالى ﴿ أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الفاتحة: آية ٦]، إنه قدم نظرية متكاملة
فى سبل المعرفة سماها الهدايات الأربع، وأنا بالمناسبة سوف أقرأ عليكم سطوراً قليلة حول
ماذا قال، فهو -أولاً- عرف الهداية وهو يتكلم عن الهدايات الأربع فى اللغة بلطف على ما
يوصل إلى المطلوب، ويقول: إن الله منح الإنسان أربع هدايات لكى يتوصل بها إلى سعادته.

(*) تفرغ نص المحاضرة بعد تحريرها.

أولها: هداية الوجدان الطبيعي، والإلهام الفطري، وتكون في الأطفال منذ ولادتهم.

والهداية الثانية: هي هداية الحواس والمشاعر، وهي متممة للهداية الأولى في الحياة الحيوانية، ويشارك الإنسان فيهما الحيوان الأعجم، بل الحيوان فيهما أكمل من الإنسان، فإن حواس الحيوان وإلهامه يكملان له بعد ولادته بقليل، بخلاف الإنسان، فإن ذلك يكمل فيه بالتدريج في زمن غير قصير.

والهداية الثالثة: هي هداية العقل وخلق الإنسان ليعيش مجتمعاً ولم يعط من الإلهام من الوجدان ما يكفي مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية؛ كما أعطى المحيا والموت فحباة الله هداية هي أعلى من هداية الحس والإلهام - وهي العقل - الذي يصحح غلط الحواس والمشاعر، و يبين أسبابه وذلك: أن البصر يرى الكبير على البعد صغيراً، ويرى العود المستقيم في الماء معوجاً، والعقل هو الذي يحكم بفساد هذا الإدراك .

الهداية الرابعة: هي الدين، وقد يغلط العقل في إدراكه كما تغلط الحواس، وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية والنوعية، ويسلك بهذه الهداية مسالك الضلال ويجعلها مسخرة لشهواته ولذاته، حتى تُوردهُ موارد الهلكة، ومن ثم تحتاج إلى هداية ترشددهم في ظلمات أهوائهم؛ إذا هي غلبت على عقولهم وتبين لهم حدود أعمالهم؛ ليقفوا عندها ويكفوا أيديهم عما وراءها.

ثم إن مما أودع في غرائز الإنسان: الشعور بسلطة غيبية متسلطة على الأكوان، ينسب إليها كل ما لا يعرف له سبباً؛ لأنها هي الواهبة كل موجود لما به قوام وجوده، وبأن له حياة وراء هذه الحياة المحدودة، فهل يستطيع أن يصل بتلك الهدايات الثلاث إلى تحديد ما يجب عليه لصاحب تلك السلطة الذي خلقه وسواه ووهبه هذه الهدايات وغيرها وما فيه سعادته في تلك الحياة الثانية؟! .. كلا إنه في أشد الحاجة إلى هذه الهداية الرابعة -الدين- وقد منحه الله إياها.

ولكن بقى معنا هداية أخرى، وهي المعبر عنها بقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمْ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٠]، فليس المراد من هذه الهداية كما سبق ذكره، فالهداية في الآيات السابقة بمعنى الدلالة وهي بمنزلة إيقاف الإنسان على رأس الطريقين المهلك

والمنجى، مع بيان ما يؤدي إليه كل منهما، وهى ما تفضل الله به على جميع أفراد البشر، أما هذه الهداية فهى أخص من تلك، والمراد بها إعادتهم، وتوفيقهم للسير فى طريق الخير والنجاة مع الدلالة، وهى لم تكن ممنوحة لأحد، كالحواس والعقل شرع الدين، ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال فى فهم الدين، وفى استعمال الحواس والعقل - على ما قدمنا - كان محتاجاً إلى المعونة الخاصة، فأمرنا الله بطلبنا منه فى قوله ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فمعنى اهدنا الصراط المستقيم؛ أى دُلُّنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ، ما كان هذا أول دعاء علمنا الله إياه فى سورة الفاتحة؛ إلا لأن حاجتنا إليه أشد من حاجتنا إلى كل شىء سواه .

معذرة لقد أطلت عليكم فى قراءة هذا النص، لأننى أتصور أن الإمام محمد عبده رغم ما كتب فيه حول تعامله مع القرآن الكريم؛ فإنه لا يزال حقلاً بكرًا ينتظر الدراسة، فالبشير الإبراهيمى - وقد كتبت عنه بحثًا مؤخرًا- من أفضل من تحدث عن مدرسة الأفغانى ومحمد عبده، فهو يقول: إن تفسير محمد عبده للقرآن ليس تفسيراً للقرآن، وإنما تفسير لمعجزات القرآن، وإنه هو الذى أثبت أن القرآن إنما يفسر بلسانين؛ بلسان العرب، وبلسان الزمان، وأنا لا أريد أن أطيل؛ لكن أريد أن أقول: إن هذا الرجل أقام بناء لنظرية معرفة إسلامية سواء فى مصادر المعرفة، أو فى سبل المعرفة؛ أى فى الهدايات الأربع، ثم نطلب من مسبب الأسباب خالق الهدايات أن يهدينا فيما وراء هذه الهدايات الأربع، وأى خطاب يغيب عنه التوازن بين هذه الهدايات الأربع هو خطاب منقوص، والهدايات الأربع: ليس معناها .. تجاوزها مع بعضها البعض؛ كأنها نقاط رياضية ثابتة وجامدة؛ إنما بمعنى أن تتزامن وتتفاعل وأن يكون الخطاب وأن تكون الثقافة الإسلامية مؤسسة عليها.

لابد للهدايات الأربع - أو لسبل المعرفة - أن تتكامل وتتوازن، وتتفاعل لتثمر خطاباً وثقافة هى مزيج من هذه الهدايات، فلوركنز أحد على العقل وحده سوف يثمر خطاباً دينياً معيباً، وعندما نقرأ لبعض الباحثين نراهم يقولون إن الوحي هو من الخيلة. وآخرون يقفون عند ظاهر اللفظ ويغفلون المقاصد من وراء اللفظ، ومن وراء مقاصد الشريعة، أى إن ما أريد قوله: هو أن التركيز على هداية واحدة، أو حتى استخدام الهدايات باعتبارها نقاطاً رياضية متجاوزة، هو منهج خطأ فى التعامل مع نظرية المعرفة الإسلامية، وبالتالي تنتج خطاباً مغلوفاً أو منقوصاً

من الناحية الدينية، ولذلك هذه النقطة الأولى يمكن الانطلاق منها بالقول إلى أننا فى تراثنا الحديث كان عندنا هذه المدرسة؛ المدرسة التى بدأت بالعطار والطهطاوى والأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا والمراعى وعبد المجيد سليم وعبد الجليل عيسى والباقورى والشيخ البنا والشيخ الغزالى، وهذه مدرسة من المدارس التى بارك الله فيها ولا تزال فاعلة؛ لأنهم كانوا خير ما فى حياتنا فى الفكر الدينى الآن وامتداد لهذه المدرسة. وهذه المدرسة قمت برصد عشرة أصول لخطابها الدينى، ولتجديدها للعقل المسلم فى العصر الحديث.

أولاً: نقد ورفض الجمود والتقليد. وأنا عندما أقرأ ما كتبه محمد عبده فى نقد الجمود والتقليد - ليس فقط الجمود والتقييد للموروث، وإنما الجمود والتقليد للمادية الغربية وللوافد الغربى - وهذا ملمح من ملامح الخطاب الدينى، وهو رفض ونقد الجمود والتقليد.

ثانياً: التجديد، وهو عنوان الحلقة البحثية التى نحن فيها، وأنا ممن يركزون دائماً على تحليل مضامين المصطلحات فمصطلح التجديد يحدث خلط شديد ومعيب بينه وبين مصطلح الحداثة بالمعنى الغربى: والحداثة بالمعنى الغربى هى إقامة قطيعة معرفية كبرى مع الموروث، والموروث الدينى على وجه الخصوص. وأتذكر أن الدكتور عبد العزيز حمودة قد كتب فى هذا الموضوع، وكذلك الدكتور محمد خاتمى، وتحدث عن أن الحداثة هى الثقافة التى تتمحور حول الإنسان، وليس حول الله، وأن الثقافة المسيحية فى عصور ما قبل الحداثة هى مثلها مثل الثقافة الإسلامية، كان الله هو محورها لكن عندما عزلت السماء عن الأرض، وعندما أصبح الواقع هو المصدر الوحيد للمعرفة .. أصبح هناك دين للحداثة، وأصبحت الحداثة ديناً يسمى بالدين الطبيعى. وقد كتب هاشم صالح - مترجم مؤلفات محمد أركون - فى جريدة الشرق الأوسط: أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر هى فرصة للتخلص من الأصولية، والعودة إلى الدين الطبيعى، مثلما عاد فولتير وروسو إلى الدين الطبيعى، وهو يغفل أن الأفغانى كتب ضد فولتير وروسو كلاماً نفيساً ندرسه فى مدارسنا إلى الآن، وقد تحدث فى هذا الصدد عن ماديتهم وإلحادهم، وانتقد هذا الكلام قبل قرن؛ إذاً التجديد هو سنة من سنن الله - يبعث الله على رأس هذه الأمة كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها - فالتجديد هو استصحاب الثوابت والتطور والتغيير والتجديد فى الفروع وفى المتغيرات، وبالتالي تنتج فروع جديدة تبين المستجدات؛ لكنها تستمد روحها من جذر الشجرة، وهو الهوية الإسلامية والثوابت

الإسلامية وهي ليست القطيعة مع الماضي وليست هي القطيعة مع الموروث، والتجديد يعنى أيضاً: الأصول وفي الثوابت وليس الفروع فقط لكن ليس بمعنى التغيير وإنما بمعنى إزالة غبار البدع والخرافات عن هذه الأصول؛ فالرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: « جددوا إيمانكم. قالوا: كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟! قال: « أكثروا من ذكر لا اله إلا الله »؛ لأن إلا اله إلا الله: هي الثورة ضد الطواغيت، وإنعاش للوحدوية وبالتالي إزالة البدع والخرافات عن التوحيد وكل هذا يعتبر تجديداً. وأنت حينما تجدد السيف إذا علاه الصدأ، فليس معنى هذا أن تغير السيف؛ إنما أن تعيد إليه ضيائه من جديد، وحتى في الأصول فهناك تجديد بهذا المعنى، وأنا أقول: إن كثيراً من الناس يتحسسون مسدساتهم عندما نتكلم في مثل هذه الأمور، ولكن بضبط المصطلحات بهذا الشكل يمكن أن نميز بين التجديد والحادثة .

ثالثاً: خطاب الإصلاح بالإسلام، والبعض يرفع اليوم شعار الإسلام هو الحل، وأول من رفع هذا الشعار في العصر الحديث هو رفاعة الطهطاوى الذى يعتبره بعض الإسلاميين متغرباً. ودليلى على أن الطهطاوى هو أول من رفع شعار « الإسلام هو الحل » هو أنه عندما وقف ضد القوانين الأجنبية، وتكلم عن أن بحر الشريعة - الغراء - لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها، وأنه لا يجب أن نأخذ من قانون نابليون، وإنما يجب أن نحتكم إلى الشريعة، فمعنى هذا أنه يقول: إن الإسلام هو الحل. كذلك عندما يقول جمال الدين الأفغانى: إن الدين هو السبب لسعادة الإنسان وإن الحل للخروج من هذا المأزق أن نعود بهذه الأمة للصيغة التى خرجت منها من البداوة والجاهلية، عندما يقول ذلك، فهو يقول: إن الإسلام هو الحل. كذلك عندما يقول محمد عبده: إن سبيل الإصلاح فى المسلمين هو الإسلام وأن إتيانهم بأى شىء آخر لن تجد له مساعداً؛ فإذا كان الدين كفيلاً بسعادة الدارين ومحقق للسعادة، فلم العدول عنه؟! هذا العنصر إذاً يشير إلى الإصلاح بالإسلام، وليس التحرر من الإسلام .

رابعاً: الوسطية الجامعة، وقد أشرنا فى هذا الصدد إلى الهدايات الأربع.

خامساً: العقلانية، فما كتبه الأفغانى ومحمد عبده عن العقل كم مهول جداً، لكن محمد عبده كان صريحاً، وأنا أريد القول: إن محمد عبده لم يكن معتزلياً، وله نقد كثير للمعتزلة حتى موضوع التحسين والتقبيح بالعقل؛ فإنه ينتقدهم فى هذا، وكلامه فى تفسير القرآن يدل على أنه يرفع راية أن القرآن يفسر بمنطق القرآن، وليس بمنطق اليونان، والعقلانية عنده مؤمنة؛

لأن هناك أموراً لا يستقل العقل بإدراكها، سواء فى أحكام عالم الغيب أو فى أحكام العبادات، ويقول إن العقل كأى ملكة من ملكات الإنسان نسبى الإدراك، وهنا تقف هذه المدرسة فى مواجهة التنوير الغربى الذى يرفع شعار أنه لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده، أى إنهم يأهلون العقل، ويريدون أن يجعلوا الفكر الدينى نسبياً بينما يؤهلون إدراكات العقول. والعقلانية تكون مؤمنة؛ لأنها نابعة من القرآن لتستدل بالعقل على حقائق القرآن.

سادساً: الوعى بسنن الله فى الكون. والكلام عن السنن هو موضوع مفتوح منذ محمد عبده إلى الآن؛ فقد تحدث محمد عبده عن سنن الله التى لا تبدل لها ولا تحوّل. وقال: إنه يتمنى على المسلمين أن يستخرجوا من القرآن علم السنن الكونية، ويمكن تسميته بعلم الاجتماع الدينى؛ لأن التقدم له قوانين، والتخلف له قوانين، ومن يخرج عن هذه القوانين سينهزم، حتى لو انتسب للصالحين.

سابعاً: أن الدولة إسلامية ومدنية فى الوقت نفسه؛ بحيث نخرج من الثنائيات المتناقضة التى ابتلتنا بها الحضارة الغربية؛ الفرد / المجموع ، الدنيا / الآخرة ، الدين / الدولة، الذات / الآخر، كل هذه الثنائيات لا علاقة للحضارة الإسلامية بها، فالدولة مدنية وإسلامية فى ذات الوقت. مدنية المؤسسات والنظم والسلطات والأمة مصدر السلطات، وفى ذات الوقت هى إسلامية المرجعية؛ لأن كل هذا يتم فى حدود الحلال والحرام. وقد ركزت هذه المدرسة على موضوع الشورى بشكل كبير. وكذلك على موضوع العدالة الاجتماعية. وأنا أقول لكم: إن محمد عبده عندما - فسر القرآن - أشار لماذا أضاف الله - سبحانه - وتعالى المال إلى الفرد فى سبع آيات، وأضاف المال إلى المجموع فى سبع وأربعين آية لينبهنا على أن الأموال التى فى أيديكم ليست هى أموالكم، وإنما هى أموال أمتكم. كذلك فكرة التكافل الاجتماعى وفكرة العدالة الاجتماعية. النقطة التالية هى إنصاف المرأة وما كتبه محمد عبده فى موضوع إنصاف المرأة وفى موضوع تحرير المرأة، وما كتبته عن محمد عبده فى هذا الإطار ترجم إلى الفرنسية. و بالتالى ونحن أمام الهجمة الغربية، يجب أن نحتمى بهذه المدرسة وبما كتبته هذه المدرسة، ولذلك أنا أدعو إلى أن نلتفت إلى هذا المنبع، وإلى هذه الصياغات، وإلى هذه النظرية المتكاملة فى الخطاب الدينى وفى نظرية المعرفة عندما نتحدث عن تجديد الخطاب الدينى.

ثامناً: إن التجديد سنة أو قانون مستمر؛ فإذا كان الإغريق يقولون إنك لن تنزل البحر

مرتين؛ فإن هذا يؤكد على أن التجديد سنة دائمة ومستمر، ولذلك أثار إعجابي من ضمن الأوراق ورقة الدكتور سيف عبد الفتاح؛ لأن التجديد لن يأتي من الحملة الفرنسية أو الحملة الأمريكية، وكنت أتساءل قديماً لماذا ندرس في الأزهر كتباً كلها مؤلفة في عصر الماليك -أى في عصر التراجع الحضارى- ولماذا لا ندرس الشيخ شلتوت مثلاً، وهنا تتساءل هل أجيالنا مثل أجيال محمد عبده؟ أذكر أن بعض الكتاب كتبوا: أن الأفغانى كان متألقاً، ومحمد عبده تراجع خطوة، ورشيد رضا تراجع خطوة، وحسن البنا تراجع خطوة، وسيد قطب تراجع خطوة، وبالتالي فالخط تراجعى، وقد قمت بدراسة صغيرة بعنوان اليقظة الإسلامية؛ لأن توازنات التحديات تختلف من عصر إلى آخر فعصر الأفغانى ومحمد عبده يركز على نقد الموروث أكثر من نقد التغريب، وقد تحدثت الأفغانى عن نقد الغرب بشكل نحن فى حاجة إليه، لكن التركيز الأكبر كان على الموروث؛ ذلك لأن ثقل الموروث الجامد كان أعلى من ثقل التغريب، ومع مجيء حسن البنا كان ثقل التغريب أكبر من ثقل الموروث، وكانت جهود الأفغانى وعبده آتت أكلها فى نقد الموروث، إذاً ليس صحيحاً أن هذه المدرسة هى سلسلة ذهبية وكانت هناك ثوابت، وقد جمعت لحسن البنا عن العقل والعقلانية ما يثبت عدم وجود خلاف بينه وبين ما قاله محمد عبده والأفغانى حول نفس القضية. وأول كتابين قررهما البنا للإخوان هما رسالة التوحيد لمحمد عبده، وكتاب الإسلام والنصرانية، كذلك حسن البنا هو الذى أصدر جريدة المنار، وظل ينشر كلام عبده والأفغانى لمدة ٤٠ سنة، فى الوقت الذى ينتقد فيه اليوم الإسلاميون كلاً من محمد عبده والأفغانى، وما أريد قوله: هو أننا مطالبون بمراجعة هذه الصيغ، وأن نعيد الاعتبار لهذه المدرسة؛ إذا تحدثنا عن الخطاب الدينى.

نحن الآن لسنا بالأمس، وكل هذا يبين أن إدراكنا للنواقص والعيوب الموجودة فى خطابنا الدينى شىء، وما يُعرض علينا ويُفرض علينا شىء آخر، وأذكر أنه فى ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م استخدم بوش تعبير الحملة الصليبية، والفايكان: أكد أنه كان يقصد الحملة الصليبية، وبلير قال: إنها الحرب بين المدنية والحضارة ضد البربرية، وبييرل سكونى قال: إنه سيواصل تعليم حضارته وفرض نفسه على الشعوب، وجوزيف لييرمان قال: إنه لا حل مع الشعوب الإسلامية والعربية؛ إلا أن تفرض أمريكا عليها القيم والنظم والسياسات، فالشعارات التى أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهى عند الحدود الأمريكية، بل تتعداها إلى الدول

الأخرى. أشكروفت وزير العدل الأمريكي السابق قال: إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل الإله. الولايات المتحدة في العراق قالت: إن إلهنا أكبر من إلههم، وإن إلهنا إله حقيقي وإله المسلمين صنم، وإنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنها دولة مسيحية يهودية وحرينا معهم هي حرب على الشيطان؛ كذلك إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل.

أول ما قامت الحرب في أفغانستان كتب توماس فريدمان: إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس، لذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية على أفغانستان بسرعة لنعود بالكتب الحديثة لينمو جيل جديد يقبل سياساتنا كما يقبل فطائرنا، وإلى أن يحدث هذا لن نجد أصدقاء لنا هنا.

فوكوياما في عدد النيوزويك السنوي ديسمبر ٢٠٠١م يريد حرباً داخل الإسلام، ليكون إسلاماً ليبرالياً علمانياً يقبل المبدأ المسيحي "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله".

كل ذلك يدعو إلى إعادة بناء الدين الإسلامي، وإعادة تحديث الدين الإسلامي، وبالطبع النصوص كثيرة. وأنا أريد فقط لفت النظر: إلى أن الناس غضبت لما حدث للقرآن الكريم، لكن أنا بودى أن يكون لدينا وعى بالتاريخ، هل هذه هي البداية؟ وقد قرأت كلمة - يجب أن توقظنا نحن - وهي أن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد. فمشكلة الشرق مع الغرب هي ظهور الإسلام. وبعض الكتاب الغربيين يقولون: إن محمداً كان كاردينالاً كاثوليكياً رشح نفسه للانتخابات البابوية فرسب في الانتخابات، فأحدث انقساماً في المسيحية، وهو المرتد الأكبر على المسيحية. ويقولون في ملحمة رونالد الشعبية سنة ١١٠٠م إن المسلمون يعبدون الثالوث. وانظروا إلى ما كتبه جوته عن القرآن وما كتبه مارتن لوثر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعن القرآن فيقول: إنه كتاب بغيض، وفظيح، كذلك ما كتبه توماس الإكويني عن رسول الله ليقول: أنه صائد العاهرات والمومسات ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. وأنا لا أريد أن أؤذى أسماعكم بالخطاب الغربي تجاه الإسلام، لكن هذا ليس وليد ١١ سبتمبر، إنما هذا تاريخ طويل في الثقافة الغربية، ولذلك فما حدث بعد ١١ سبتمبر، هو انفجار لمخزون ثقافة الكراهية السوداء ضد الإسلام،

ولذلك لا يجب أن نخفى عيوب خطابنا الديني؛ لكن لا نريد أن تتبنى المقولات الغربية فيما يتعلق بخطابنا الديني.

الإمام الخميني كان يقول: إن بقاءنا بالمساجد والمحاريب ليلاً ونهاراً سيسعد الغرب؛ لأنهم يريدون البترول، ولذلك هم فى الخطاب الديني يريدون أن ينزعوا سلاح الأمة؛ العزة و الكرامة، ذلك نحن نريد استمرار مسيرة التجديد، فنحن فقراء فى التجديد وأثرياء فى التقليد، وهذه حقيقة لا بد أن ندركها، وكثير من خطاباتنا الدينية ولأنها افتقدت نظرية المعرفة والتجاور والامتزاج بين الهدايات الأربع لا توقظ عقلاً ولا ترقق قلباً، وأنا ألفت النظر إلى أن علماءنا الذين تركوا بصماتهم فى الخطاب الديني كانوا يجمعون بين عقلانية الفيلسوف، وقلب الصوفى مثل جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا والشيخ الغزالي: أى إن: الجمع بين هذه الهدايات وسبل المعرفة، هو نقطة البداية لخطاب دينى صحيح وسلام الله عيكم ورحمته وبركاته.

